مختارات من الشعر الدانمركي

. اختارها وترجمها وقدّم لها: سليم الغضبان .

تقديم

عندما كنتُ في سنّ الصغر كنتُ أحلم أن أكون شاعراً أو قاصًّا. وأجبرتْني تكاليفُ الحياة على الاتجاه في وجهةٍ أخرى. ومع قدومي إلى الدانمرك عادت الرغبةُ إليّ، إنْ لم يكن في كتابة الشعر، ففي ترجمته.

و لهذا اخترتُ أجمل القصائد لثلاثةٍ من أعلام الأدب الدانمركي لترجمتها، وذلك منذ أكثر من عشرة أعوام. والآن تتيح لي مجلةُ الآداب الشهيرة مشكورةً نشرَها.

ما دفعني إلى اختيار هذه القصائد هو طواعيتُها للترجمة مع إمكانية إيجاد قافيةٍ مناسبة، ولكون معظمها يتميَّز بالحسّ الرومنسيّ الذي يَجْذب القارئ.

فلو أخذنا كريستيان ڤنتر، نراه قد كَتَبَ أجملَ قصائده في قصة عشقه لامرأة كاهن شابّةٍ اسمُها يوليه ورلين، بعد أن عانى الأمرّيْن.

أما إميل اوغستروب فقد كان أوفرَ حظًّا، فتزوّج من ابنة عمّه وعمل طبيباً. وأثناء فترة عمله هذه كَتَبَ أحلى قصائده الغنائية.

وبالنسبة إلى فريدريك بالودان مولر، فقد عاصَرَ الرومانسيةَ والطبيعيةَ في منتصف القرن التاسع عشر. وكان واعياً للتغيُّرات في مجتمعه، الفكرية والاجتماعية. فانتقد بشدّةٍ المثاليةَ والعوطفَ الآنيّة لحركة الرومانسية، وكذلك المادية والإلحادية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

وقد اخترتُ القصائد التي أعجبتني شخصيّاً لترجمتها، لأنّ ذلك شرطٌ مهمٌّ لجودة الترجمة. فكلّ هذه القصائد عزيزةٌ عليّ، و لا أخفي إعجابي بقصيدة «تداعٍ» لإميل أوغستروب، التي كتبها وهو جالسٌ في حديقة منزله يتأمّل الطبيعة، بينما ابنُه الصغيرُ يلعب على الأرجوحة.

وأخيراً، فإنّ الشعر خيرُ تعبير عن التجارب الإنسانية. ومن خلال هذه القصائد نستطيع إيجاد أوجه تشابه مع تجارب شعراء عرب و إنِ اختلفتِ البيئة؛ ففي النهاية نحن جميعًا نحبّ ونعشق، ونتألّم ونفرح، ونقدّر الحسّ الجمالي.

الدانمرك

١ ـ كريستيان ڤنتر

درس في كوپنهاغن واختلط بالدارسين والأدباء ومن بينهم پول مولر. كانت سنواتُ دراسته المدخَل للولوج إلى الأدب الدانمركي والألماني المعاصريْن. اهتمّ بصفةٍ خاصةٍ بالشعر الغنائي للفلاّحين والمزارعين. من مؤلّفاته: نحن القبيلة، والموسيقى، واستراحة الجوّال، ونغمات. **وإذ تأثّر بدوافعَ دينيةٍ، فقد كتب رواية العشق الرومانسي**: ثأر السيدة العذراء.

كان يتردّد على مدينة روما. وأثناء عودته إلى الوطن، وفي مدينة ستراسبورغ، كتب مجموعةً شعريةً بعنوان: الأماكن العالمية، **وَصَفَ فيها رحلته. تعرّف إلى فتاة اسمها الڤلدة، ولكنّ علاقته بها لم تنجح. كتب لها قصائد** التجوال والاكتشاف **عامَ ١٨٣٣ بمناسبة عيد ميلادها. بعد فشل هذه العلاقة عَقَدَ خُطْبته على فتاةٍ أخرى اسمُها صوفية هانسن. وبعد سنتين مؤلمتين بالنسبة إلى كليهما انفصل عنها، وأعلن ذلك في كتاب** نعيق الغراب، **في ربيع عام ١٨٣٦. شكّل كتاباه** أنيّته، وابنتا العمّ، **بدايةً لرواياته الشعرية الحديثة. من مؤلَّفه** عروس الفُنس الواقعي، **تحوّل إلى الرومانسية في كتابه**: المغامرة الرومانسية.

شكّل لقاؤه بجوليه وعشقُه لها ثم الزواجُ منها نقطةَ تحوّلٍ كبيرة في حياته وشعره. كانت شغوفةً بالشعر، ومنفتحةَ الذهن، وخفيفةَ الروح. استقرّ وإيّاها في باريس عام ١٨٧٥، لكنّ القدر لم يُمْهله كثيراً، فتوفّي عام ١٨٧٦.

راحة

تنطفئُ الشمسُ
ويَصْمتُ النهار
وتقف الغيومُ على شفيرِ السماء.
تبتسم النجوم،
الهجوعُ والأحلام
تحيط بهدوءٍ
بالبحرِ واليابسة.

آه، عندما ينتهي النهارُ قريبًا
هل أستطيع أن أفعلَ مثلَ تلك
الزهرةِ هناك:
أحني رأسي بلطفٍ وأستديرُ بأمانٍ
لأترقَّب بزوغَ أولِ شعاعٍ للفجر؟

موسيقى الليل

أينَ أنتِ يا كاميليا؟
ألا تَفْتحين نافذتَك!
فالقمرُ يَرقد مكتملاً
متربِّعًا الجبالَ.
وكلُّ شيءٍ يَهْجعُ
في المدينة، وفي القُرى،
ولا شيءَ سوى
نافورةٍ تتلألأ.

بوهنٍ أقفُ هنا
يُسْندني الحائطُ،
أَرْقبُ النجمَ،
أُصاحِب الليلَ.

أتعشقينني يا حُلْوتي؟
فقد أهديتُكِ وردةً؛
وبشوقٍ حرّاقٍ،
أهديتِني نظرة.
وزرعتِ الوردةَ فوق قميصِكِ
لينعكسَ لونُها
بخجلٍ فوقَ خدِّك.
أَغْلقتِ جفنيْكِ،
لتُخْفي لهيبَ عينيكِ؛
فالنجمتان فيهما
تُضيء عالمكِ!

هيّا، إذًا، كاميليا!
فقد أهديتُكِ وردتي
وأهديتِني الأملَ:
أملي في تلك البسمةِ
مرسومةً على شفتيكِ.
وحضنتُها..
فحضنتُ شيئيْن
وشدَدْتُهما إليّ:
شوقي إليكِ.. وحُبِّي لكِ.

إنّهما يُضْعفانني
يحطِّمان قوايَ . .
يحطِّمان شجاعتي
ويُشْعلان نارًا
تحرق دمي .

هيّا، إذًا، كاميليا!
محرِّرتي أنتِ،
وأَمَلي أنتِ .
وعندما يتعمّدُ الحُبُّ
سأُولدُ من جديدٍ
لكِ . . أنتِ .

طاردي شوقي . .
أُقتلي حُبّي . . إنِ استطعتِ!
وإنِ استطعتِ،
فعمِّدي آلامي
باسمِ القُدسيّة .

اذهبي في تلك الدروبِ
حيث تنمو كرومُ العنبِ،
ستجدين هناك
كرمةً أعرفُها
حلوةَ العناقيد .

انزلي إلى مدينتنا
وتنزّهي خلفَ ساحةِ التمثالِ
ستجديننني هناك . .
سنَقْطفُ الفاكهةَ معًا
مِنْ على تلك الشجرةِ .

هناك تتألّقُ الفاكهةُ على الأغصان،
حلاوتُها تُغْري
وسأهزُّها بيدي
لتتساقطَ . .
وتتلقّفيها في حُجْرِكِ .

القوافي الصغيرة

على المرء أن يُدرِّبَ نفسَه بصبرٍ
كيف يصلُ إلى هدفه :
أن يغنِّي قليلاً بفرحٍ للأطرش،
أن يَرْسمَ بفنٍّ للأعمى .
واجهْ مصيرَكَ
بقسوةِ الصخر .
وعندما تنتصر،
كنْ وديعًا هادئًا!

انتهزْ فرصتَكَ
واستمتعْ بها
عندما تكونُ في يَدِكَ!

ليس في قلبي مكانٌ للحقد
أريد البحثَ عن مستأجرٍ آخر .

« فورتنا » تلك المرأةُ العاهرة،
التي يَعْرفها كلُّ رجل
كحبلٍ فالتٍ،
تَبْحث عن الدفء
في كلِّ سرير :
مرةً مع السيّد
وأخرى مع الخادم .

امشِ في طريقِكَ إلى القبر
بروحٍ عاليةٍ، حرّةٍ، خاشعة .
فمن دون هذه الصِّفات،
يبدو كلُّ شيء
أسمالاً بالية!

حَكِّم الميزانَ وأَعْطِ،
ابحثْ عن ثأرِكَ وابقَ،
فكِّرْ جيّدًا واكتبْ،
قمْ بعملٍ مفيدٍ واشتغلْ!

تغيير

ذلك الشابّ،
تلك العذراء،
يَرْقدُ اللطفُ تحت أقدامهما .
بينهما،
تفتّحتْ زهرةٌ أمام قدميْها!
زهرةٌ ليلكيةٌ بيضاء
بياضُها ناصع،
لونُها الليلكي
يملأُهُ الصفاء .
تلك الزهرةُ
لن يقطفاها
قبل أن تتورَّد .
انتظرا بملء الشوق،

كما ينتظر العاشقُ رسالة.
رَوَياها بدمعهما،
حَضَناها بأنفاسهما.
وعندما غيّرتْ معطفَها
وأصبحتْ وردةً جميلة،
التقت يداهما في لحظة
لتقطفَ الوردة.
عندما تلاقت نظراتُهما،
عندما تلاقى الفمُ بالفم،
عندما تلاقت اليدُ باليد،
اختفت الوردةُ فجأةً.
ولكنّ صورتَها السرمديةَ
وجداها في القلب.

حدثَ في الغابة الخضراء

مرَّ في الغابة الخضراء
شابٌّ حزين
كان يغنّي،
بينما يشقُّ الجدولُ طريقَه بين الصخور
ليروي العشبَ الأخضرَ والزهور.

هناك التقى بفتاةٍ
رشيقةِ الخطوات،
فأحسَّ بيديه
تدفُّقَ الدَّمِ إلى خَدَّيْه.

«اسمعيني يا صبيّة،
يا صاحبةَ البسمةِ تلك
فوق الفمِ الورديّ ذاكَ،
أَمَا لي من كلمةٍ معكِ
في هذه الطبيعة الخضراء؟»

«آه! كلُّ ما تريدُ قولَهُ،
بالحرفِ أعرفُه!
كُن عاقلاً.. كُن حكيمًا
كي لا تسبِّبَ لنفسك جرحًا أليمًا!»

«لا أريدُ منكِ شيئًا
سوى ما يريده القلبُ.
إذا لم يكن حبٌّ،
فلن يهدأ أبدًا!»

«آلامُكَ لن تُثيرني.
احتفظْ بحبِّك بعيدًا!
إنّ عنديَ قلبًا،
فماذا أفعلُ باثنيْن؟
كلماتُكَ تُضحكني!
خُذْ هذه الوردةَ الحمراء
وضعْها على صدركَ؛
عندها سيَنْزفُ قلبُكَ
لتموتَ مع شروقِ الفجر!»

تألّقتِ الوردةُ فوق صدره
وأحسَّ بسعادةٍ روحية
وأخذ يُقبِّل الوردةَ
بحُبٍّ وحنان
ويشتمُّ أوراقَها العطرة.
وأخذت الوردةُ في ذبولها
والغبارُ يُغطّي أوراقَها،
فتساقطتْ.

عندها راح يجولُ
حول قطوفِ حديقتها الدانية
رافعًا صوتَه محتجًّا:
«أرجوكِ!
أَعطيني الأمانَ ثانيةً!
الوردةُ التي أهدَيتني
لم تقدِّمْ ليَ الكثيرَ
ألم تكوني على عِلْمٍ
بعمرِ جمالِها القصير؟»

«لا تتذمّرْ»
أجابت بسرعة،
«خُذْ من السورِ وردةً
ولكنّ تفتُّحِها قد يتأخّر!»

ولحظةَ حدَّثَتْه،
أَنعشتْ قلبَه
ووردَ شِفاهِها.. أهدَتْه.
إنّ مَنْ كَتَبَ تلك الأشعار
تلميذٌ من الشُّطار،
ولكنّ الحظَّ خانه
وله.. أدارَ العالمَ ظهرَه.
وكلُّ عزائِه أُغنيات
تتصاعدُ من صدره
عندما يكون وحيدًا

في الوادي.. على الشطِّ
أو شارداً في الغابة.

لو كان للقلبِ أن ينطق!
نعم، فعلَها مرّةً
في ذاك الوادي الضيِّق
تحدَّث عن نفسِه.. وعن أُغنيته.

فصلُ الصيف

الجوُّ صيف،
فلنرقُصِ الآن
بنشوةِ الألحان!
أمْ نجدِّلُ الأكاليلَ معطَّرةً
برائحة الوردِ الأحمر،
والبنفسجِ والياسمين،
وكلِّ الورود المتفتّحة
بين العشبِ الأخضر؟

فلنَنْصبِ الأرجوحة
بين البلّوطةِ والسنديانة
نلعب عليها..
نمرحُ.. نمزحُ.. نعلو بها
وسيداعبُ النسيمُ العليلُ خدودَنا
خفيفًا.. هفوفًا.. مثلنا!

يعلو صوتُ الأرجوحة
بلطفٍ تُصلصل سلاسِلُها
وأصدقاؤنا.. طيورُ السنونو
ترتحل هادئةً من فوقها
والصيفُ اللذيذُ يُحيّينا!
فتعلو الابتسامةُ شفتيْنا.
ننتعشُ.. تحمرُّ خدودُنا.
لا ترحلْ سريعًا أيُّها الصيف
من أجل المحبّين.. من أجلنا!

طِر عاليًا أيُّها العصفور

طِر أيُّها العصفور!
حلِّقْ عاليًا في سماءِ البحور!
سيُدْركَكَ ظلامُ الليل؛
فالشمسُ تخبِّئ نفسَها،
ترمي بنفسها خلفَ الغابات..
خلفَ البحيرات؛
ويتسلَّلُ النهارُ بعيداً.. وئيداً.
عُد إلى عُشِّك
إلى حضنِ عصفورتِك
إلى ذوي المناقير الصغرى.. صغارِك.
ولكنْ، إنْ رجعتَ في الصباحِ غداً،
أَعْلِمْني بما رأيتَه!

طِرْ أيُّها العصفور!
حلِّق عاليًا فوق الأمواج
ابسطْ جناحيْك
بأفضلَ ما تستطيع!
وإنْ رأيتَ عاشقيْن فاتبعْهما
وغُصْ، واكتشفْ أعماقَ روحيْهما؛
فأنا مغنٍّ.. وكي أكون شاعراً
عليَّ أن أعرفَ
كيف يكونُ نورُ الحبِّ ساحراً.
وكلُّ ما يحوزه القلبُ
يترجمه الحُبُّ
بنبراتِ صوتي.

طِرْ أيُّها العصفور!
حلِّق عاليًا فوق جداولِ أنهارنا،
واستمعْ إلى نداءِ الحُبِّ من عُشِّك
وبين حفحفةِ الأوراق.
اقبعْ هناكَ في مجلسك
واعزفْ أنشودةَ حُبِّكَ!
قد كنتُ قادراً مثلَك
على السباحةِ في الأثير،
وعرفتُ خاتمةَ الرحيل.
وبرغم الجوِّ الدافئ،
كنتُ قادراً على التنهّد
والحُلم فقط.
ورأيت فاكهة الحبِّ
ما عَلقَ منها.. وما سقط.

طِرْ أيُّها العصفور!
حلِّقْ عاليًا فوق مياهنا
بعيداً.. بعيداً في الأفق،
في ذلك الفضاءِ الأزرق.
حلِّقْ خلف شطآننا،
وستراني وحيداً في الغابة
وسترى ألواني تختفي
لترى بعدها عصفورةً أخرى -
بلونها البنيّ الأصفر -

تتمايلُ في النُّسيْمات،
مغريةً أسرابَ الطير.
سهلةٌ هي.. لا بأس
حاسمةٌ هي مثل حدِّ الفأس،
سوداءُ العينين،
ورديّةُ الخدّين،
سارحةٌ في الجوّ.
آه! أظنُّكَ عرفتَها للتوّ!

طِرْ أيُّها العصفور!
حلِّقْ عاليًا فوق أرضنا
واسمعْ تنهّدات الليل؛
فالشجرُ يهمسُ بحفيف الخوف.
أمسِ عليهم وانحنِ!
فقد سبقتْكَ أسرابٌ من الطير
وعادت.
ألم تُصْغِ إلى صوتِ أنينها؟
ابعثْ بسلامك إلى قلبي،
قلبي الراجفِ عند المساء، وقُلها..
قل إنّكَ تَعْرفها!

موسمُ الحصاد

يفرقع السوطُ،
يزعق بوقُ الحنطور،
وتختفي العربةُ ببطء
فتذْرف الدموع.
بماذا تفكّر عندها
يا قلبي الحلو الصغير؟!

في العربة، خلفَ النافذة، تجلسين
تُصيخين السمعَ إلى الخارج،
وجرسُ العربة
يطغى عليه عويلُ الريح.
قريبًا لن تسمعي سوى شهقاتكِ،
وستجفّفين دمعَ عينيكِ
من على خدّيْكِ،
يا قلبي الحلوَ الصغير!!
عندها، سيرتحل اللقلقُ
وستنكسرُ البوصلة
كاشفةً بزهوٍ عن لوحها المخطّط.
ولكنّني سأعود،
فمثلي لا يتحمّل الشكوى!
فلتملأ الفرحةُ قلبكِ
يا قلبي الحلوَ الصغير!

آه، كفكفي دموعكِ!
اذهبي وتنزّهي
حيث تتباهى شجرةُ الكرز بحُليِّها.
كم تواعدنا هناك
يا أحلى معشوقٍ،
يا قلبي الحلوَ الصغير!

بجانب الحافّة أجلس
هنا عند النهر،
عاليًا فوق الجسر،
أكتبُ إليكِ أشعارًا
في مساءٍ يتألّق إبهارًا.
وفي انسياب الأمواج
أكاد أسمعُ تنهُّدك
يسافر في عبير الأجواء،
يا قلبي الحلوَ الصغير!
وبين كلّ تنهيدة وتنهيدة،
أكاد أراكِ تقطفين نجمةً مزهرة
تقطفينها بإصبعيْك.. ويَشْرد فكرُكِ:
«إنّه عاشقٌ من صميم قلبه
بكلِّ الشوق والألم
عاشقٌ من صميمِ قلبه!»
أتفكّر فيَّ إذًا،
يا قلبي الحلوَ الصغير؟

دعي الأزهارَ تتفتّح؛
وإنْ سقطتْ بعدَها،
فلكي يأتي الحصادُ
حاملاً في خبايا معطفه
حلوَ الثمر ـ الأصفرَ والأحمر ـ
لكليْنا، يا قلبي الحلو الصغير!

سنقطفها جميعًا
وسنتمتّع بالحصاد،
حصادِ جنّة اللّه،
لذائذِ جنّة اللّه.

وكلُّ ما يجرح،
كلُّ شوكةٍ.. كلُّ دمعة
ستكون من نصيبي،
يا قلبي الحلوَ الصغير!

٢ ـ إميل أوغستروب (الشاعر الدكتور) ١٨٠٠ ـ ١٨٥٦

ولد في كوبنهاغن. توفّي والداه وعمرُه ٨ سنوات، وبفارق شهر واحد بينهما. تأثّر شديدَ التأثّر بهذه الوحدة المبكّرة وكتب «الوحشة المقدّسة،» رابطًا حاجتهَ إلى الحبّ بهذه الوحدة الإجبارية.

عام ١٨١٩ حصل على شهادة الثانوية العامّة، ثم أخذ في دراسة الطبّ. وعاش حياةً منفلتةً نوعًا ما. كان لديه حسٌّ إيروتيكيّ، وكان أبًا غيرَ شرعي لطفلة ولَدَتْها السيدة سپنجلر عامَ ١٨٢٢ بعد ٦ أشهر من وفاة زوجها. ويبدو أنّ قصيدة «الصغيرة التعسة» قد كتبها لابنته كورديليا، وكان عمرُها عامًا.

بدأ التأليفَ في عمر مبكّر. كتب أربعَ مجموعات شعرية في الفترة من ١٨١٧ ـ ١٨٢٠. وبهذه المؤلّفات تكون شخصيتُه الأدبيةُ قد اكتملتْ. كتب عن الشهوة والألم والعشق والموت، كما كتب في موضوعات مختلفة. شكّل حبُّه لابنة عمّه مفصلاً في حياته. عشقها فخطبها، وما إنْ تخرّج طبيبًا حتى سارع إلى عقدِ قرانه عليها.

نشر أشعارًا رومانسيةً وغنائيةً في الفترة من ١٨٢٣ ـ ١٨٢٦، وبعضُ أشعاره يشير إلى محبوبته كارولينه. تميّزت الفترةُ بين ١٨٢٧ ـ ١٨٣٨ بكونها الفترة الأكثر سعادةً وإبداعًا في حياته. توفّي في مدينة أودينسه عام ١٨٥٦.

تمسّك بالحسّ الرومانسي حتى قبل نهاية العشرينات من القرن التاسع عشر. ومثّل كتاباه قفزة الحقل، وترينه والعطش، **نقطةَ تحوّلٍ نحو الواقعية الشعبية والوطنية. من كتبه التي تُلامس الإيروتيكا:** أوضاع إيروتيكية، ولقاء غرامي، والوضع الصباحي.

تداعٍ

ماذا تريد تلك القبابُ الخُضْرُ النديّة؟
ماذا تُريد أرجوحةُ القشّ الذهبية؟
وآلافُ الطيورِ بزقزقتها الأبدية،
ماذا تريد؟

تلك الاستداراتُ السماوية
بلهيبِ شمسِها المحموم،
ماذا تريد؟
وتلك الكواكبُ من النجوم
هي بالأمسِ.. مثلها اليوم،
ماذا تُريد؟

وتلك الغيومُ الهائمةُ،
وهذه الإوزّاتُ العائمة،
وتلك الحسناءُ بخيوطها حائكة
وبرشاقة أناملها جادلة؛
وذاك الصبيُّ اليافع
نصفَ غافٍ، في سريره يُطالع
بشهوةِ العلْمِ يلتهم
تاريخَ وتراثَ الأمم؛

تلك الحروبُ السالفة
من أقدم العصور...
مِنْ قتلٍ وسلبٍ ونهبٍ
قد خُطَّ هنا.. في سطور؛

في تلك النقوش القديمة،
رموزٌ مشقّقة
تحكي قصصًا مختلفة..
وأخرى محقّقة
أتحتملُ المزيد؟

لماذا هذا التزاحمُ؟
ماذا تُريد تلك الراقداتُ
في المراعي...
وهي باتجاه السماء
تناجي؟
وتلك الأرواحُ...
بالآمالِ مفعمةً
ماذا تريد؟
اللّه يعلم أكيداً
عرفتُ ذلك...
وتفكّرتُ في آلاء السماوات،

وبَعُدتُ عن الأنام،
وبجسدي الآن أرتمي
في حضنِ الغيمة... وأنام.

وتُضيء النجمةُ الآن

وتُضيء النجمةُ،
ويهبطُ ظلامُ الليل،
وأقف حيث نباتُ الوردية
يتحرّق إلى جانب شلاّل المطر.

أوه، أماليا،
أنتِ بعيدةٌ،
في تلك الربوع الدنماركية!
أنتِ مَنْ أنادي ـ
هل تسمعينني؟
أيَّتُها السماء،
لو كنتِ تستطيعين!

أوه أماليا!
أنتِ بعيدةٌ
وابنُكِ تُمسكينَه بيدك
قبِّليه! وخذْها من شفتي!
أيُّها الروحُ، وخذْها من قلبي!

ابنتكُ الصغيرة،
ارفعيها عاليًا، عاليًا في الهواء
أكاد أتنشّق زهرَ البرتقالِ
أتفعلين؟
دعي المشط!
وأفلتي العقدَ
عن رقبتكِ!
دعيني أراها
وهي مزْهرة، ممتلئة!
فقط، أغلقي عينيْكِ
دعي الأطفالَ
يبكون في حُلمهم.
أطفئي القنديلَ
لتُظْلمَ الغرفة.
وعندها،
عندها فقط، ستريْنني!

يحاول الليلُ عبثًا
أن يَضُمَّكِ بأجنحته
وأنا، نصفَ حالمٍ،
ألتقي مشغوفًا
بصدركِ،
بساعدكِ،
بشفتيْكِ.

لكِ منّي ألف قُبلة وقبلة، أيَّتها الحلوة

لكِ منّي ألفُ قُبلةٍ وقُبلة،
أيَّتها الحلوة.
فلتتحرّرْ عيناكِ لتنطق،
فإنّ كيوبيل يُخْرس فقط
الأصواتَ النافرة،
وفي غلائله،

يأسرُ القُبلة.
كلّما تقابلتْ شفاهُنا بصمت،
كلّما سَرَتِ النشوةُ في جسمي،
تاه تفكيري، وعاد،
كي أصبَّه على الورق.
وهكذا تُضيء القافيةُ،
وتتوهّجُ الأشعارُ،
بحرارةِ الشوق.

إنّي أُحِسُّ بنار العشقِ
مثلما لم يُحسَّ به أحد.
ذلك الشكل الذي
تُخبِّئينهُ بساعديكِ،
أبيضَ نقيًّا،
أتُخفين تكوُّمَهُ
يا هيلدا؟!

مِنْ فكْري أنسجُ شبكةً طيِّعة
من نفثاتِ حكمتي،
أجْدلُها، جميلةً، رفيعة
وأُلقيها،
في بحور الشِّعر.

٣ ـ فريدريك بالودان ـ مولّر

ولد في كيرتمِنْدَه عام ١٨٠٩ . حصل على الثانوية العامة عام ١٨٢٨ . تخرّج من كليّة القانون عام ١٨٣٥ . تزوّج عام ١٨٣٨ . توفي عام ١٨٧٦ في كوبنهاغن.

تميّز فريدريك بالودان ـ مولّر بالمثالية والقدرة على الحكْم. وقد أبدى موهبة كبيرة في وقت مبكّر. وقد طوّر نفسه عن طريق مخالطة المبدعين، وخصوصًا النساء الأكبر منه سنًّا. واجهتْ أولى إصداراته نقدًا شديدًا تحت أسماء مستعارة.

موسيقى راقصة

في الفضاء العالي،
في صفاءِ الزّرقة،
تَبْسم الشمسُ الذهبية،
وتَخْطر غيمةٌ صغيرة
تندفع إلى الأمام
مثلَ طيرٍ باسطًا جناحيْه!
أكاد أسمعُ النغمة
التي تَصْدح بها تلك الأغنية.
تلك النغمةُ الحلوة
ستملأُ تيجانَ الهوى؛
فالحفلُ سيبدأ الآن.
أُنظري الوردةَ الحمراءَ
تتفتّحُ بخجلٍ تحت الشمس،
وتقف أوراقُها برقّتها
كتاجٍ على رأس ديكٍ حبشيّ.
ويَعْبق النسيمُ برائحته المنعشة.
وتُشْرق الوردةُ باحمرارها،
رامزةً إلى مجدِكَ أيُّها الحُبّ!

ويأوي ملكُ النهار إلى صيوانه
فيذْوي شعاعُ الماءِ النفسجي
ويحلُّ الليلُ بلونه الجلي
في ضوء القمر المتلألئ،
وتعلو الأحلامُ الحزينةُ بالآهِ
بعيدًا في السماء،
سابحةً بين النجوم،
وألتقي هنا أحبّائي
يتألّقون في الصالة،
وترقص القلوبُ
منتشيةً بالأنغام.
ندور بسعادةٍ حول النار
نستمدّ الدفءَ والحنان
تتلألأ أعيُننا بفرح
ترسل أشعتَها
متحدّيةً الحزنَ.

تلك الفتاةُ الممشوقةُ القوامِ
تتغندر بجمالٍ،
بثقةٍ وحنانٍ تنظرُ الحبيبَ،
فتذوي الآلامُ بعيدةً
عن قلبيْهما،
ينبثقُ الحبُّ بجلال
ليفجّر حواجزَ الزمن.
وإذ بألسنةِ الزمنِ
تنطلق من عقالها عاليًا
بتلك الأنغام القديمة:
قد كُنّا شبابًا مرةً
والآن مرّ الشباب
يعلو الأملُ ويتألّق،
وبعد هُنيهةٍ ينزاح
وتضيع الأماني.
تلتقيان الآن... ثمّ تنفصلان
ستنسيان... مثلنا ستنتهيان.

لقاء

إلى أين صارت تلك الزهرةُ
التي ملأتْ حقيقتَك بتلك الرائحة الشذّية؟
أين ذلك الإشراق
الذي أعطى الجوَّ الصيفيَّ الدافئَ لونًا ذهبيًّا؟
إلى أين صارت تلك التيجانُ الخضراء
التي تفتّحتْ مع أنغام الربيع المنعشة
عندما سمعت أغنيةَ كورس العصافير؟
وحياةُ المخلوقاتِ التي غطّتها الغيومُ الداكنة،

أما آن لها أن تعودَ لتترعرع
عندما ينطلق سديمُ الحياة محلِّقًا؟
ذلك الكلبُ الذي مات حُزنًا
فوق قبر سيّده،
أليس له أن يُلاقيَه
بعد أن وَهَبَ نفسَه له؟

أَلقِ ببصركَ ثانيةً
لترى نفسَكَ كيف كنتَ!
أين تلك الأيامُ الخوالي،
عندما كانوا يحملون أصنافَ الفاكهة؟
أين، إذًا، أصحابُ الآمال؟
أين، إذًا، أكاليلُ الحب؟

أين قلبُكَ النشوان؟
وأين بريقُ عينيك؟

لا بدّ من عودة الأشياء
لتعيشَ ثانيةً،
وتحيا بين تلك الأطلال
التي عفا عليها الزمن!
لا يكفي أن نلقي لمحةً عليها
من نورِ روحنا،
فلتُضأْ بكلِّ شُعَلِ الأرض
لتُرى بكلِّ أعين أهلِ الأرض!

علينا أن نتجمّع حول مكانٍ واحدٍ،
حول تلك الأطلالِ المحطّمة؛

هناك ينهض كلُّ قديم
ويقف مجدِّدًا نفسَه.
تلك الروحُ التي اخترتَها هنا
ذلك الهدف الذي رميتَ إليه،
ذلك الحلم، الذي خَلَبَكَ لُبَّكَ هنا،
يذكِّرُكَ بيوم القيامة.

وأخيرًا تجدُ عزاءك!
أخيرًا يكتمل إيمانُكَ بأنّ
كلَّ ما نفقده هنا
سنحصل عليه ثانيةً هناك.
لم نُخْلقْ لنتخلَّف!
حتى أصغرُ ضفدعة تقول:
لم يَضِعْ سوى القشر؛
فلبُّ الحياةِ لا يموت أبدًا!

الدانمرك

يشغّل جميل لبسّام عرضَ اليوم من مسلسل «بيت الأشباح». يحلو له أن يفاجئه. يبثّ له النشيد الوطني اللبناني قبل دقائق من موعده التاريخي اليومي، السابعة صباحًا.

يوقظ الصوتُ المفاجئُ بسّامًا. يلتفت إلى التلفزيون. يجاهد لفتح عينيه من دون أن يحرِّك جسمه. يجد مسلسل «بيت الأشباح» وقد أعيد بثُّه على شاشة تلفزيون لبنان. العلمُ الوطني يرفرف. يسمع بسام رفيفَه كأنَّه يقف تحته. يحسّ بأنَّ الهواء الذي يحرِّك العلمَ، في الشاشة، خارجٌ من مروحة.

حسّان الزين: كاتب وصحافي لبناني، مواليد ١٩٦٩. درَس الفلسفة والعلوم الإنسانية. عمِل في جريدتي «النهار» و«السفير» ومجلة «زهرة الخليج»، وحاليّاً في جريدة «الاتحاد». له: «علبتي السوداء» (١٩٩٦) و«الرفيق علي» (٢٠٠٣).